خير الهدي هدي المصطفى ﷺ

١٥

أجرٌ حتى بعد الموت

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

في الجامعِ الصَّغيرِ للحافظِ السُّيوطِي ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ الله عنهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ:

«سبعٌ يجري للعبدِ أجرُهُنَّ بعدَ موتِهِ وهُوَ في قبرِهِ:

مَنْ عَلَّمَ عِلماً ، أو كَرى نَهْراً ، أو حَفَرَ بِئراً ، أو غرسَ نَخْلاً ، أو بنى مَسجداً ، أو وَرَّثَ مُصْحَفاً ، أو تركَ ولداً صالحاً يستغفرُ له بعدَ موتِهِ».

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾

بينما كانَ (جميلٌ) يقرأُ في القرآنِ الكريمِ ، توقَّفَ عندَ آيةٍ كريمةٍ ، وهيَ قولُ اللهِ تعالى:

﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾.

فأحبَّ أن يرى بعضَ آراءِ المفسّرينَ في شرحِ هذهِ الآيةِ ، فتقدَّمَ نحوَ مكتبةِ والدِهِ في الصَّالونِ ، وأخذَ واحداً من المُجلَّداتِ ، وقرأَ فيهِ:

ومعنى المسارعةِ هُنا: أنَّهُم كانُوا يبادِرونَ إلى الخيراتِ وطاعةِ اللهِ، وهو من أكبرِ مَا يُمْدَحُ بهِ المرءُ، لأنَّهُ يَدُلُّ على حرصٍ عظيمٍ على الطّاعةِ، ولذلكَ أكرمَ اللهُ جلَّ جلالهُ هؤلاءِ المسارعينَ في الخيراتِ، فاستجابَ لَهُم، وحقَّقَ ما أرادُوه ورغبُوا فيه، وَوَهَبَ لزكريا عليه السّلام الولدَ بعدَ طولِ سنينَ، وأصلَحَ لَهُ أمرَ زوجَتِهِ.

وهذا فضلٌ عميمٌ من صاحبِ الفضلِ العظيمِ، يذكِّرُ كلَّ مؤمنٍ بأنّهُ إذا أخلصَ في المسارعةِ إلى الخيرِ لوجهِ اللهِ أوسعَ له العطاءَ والجزاءَ...

ودخَلتْ أختُه (روضة) فحدَّثهَا بِمَا قرأَ وأُعجِبَ به، فقالَتْ لَهُ ـ بعدَ أنْ أخرجَتْ من

دفاتِرها ورقةً ـ وهذا ما حدَثَ معي منذُ قرابةِ ساعةٍ.

فقدْ كنتُ أذاكِرُ في مكتبةِ الجامعةِ ، وأخذْتُ القرآنَ ورُحْتُ أقرأُ فيهِ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴾.

وعُدْتُ إلى أحدِ كُتُبِ التَّفسيرِ ، فنقلْتُ منها ما يلي:

إنَّ ميزانَ قبولِ الأعمالِ يعتمدُ على الصّفاتِ الأربعِ ، وهيَ: الخوفُ من عذابِ اللهِ ، والإيمانُ بآياتِ الله ، وإخلاصُ العبادةِ للهِ ونفي الشِّركِ الخَفِيِّ ، وأداءُ الواجباتِ مع الاجتهادِ في إيفائِها حَقَّها.

وبالتالي فالمؤمنونَ المُتَّصِفُونَ بالصِّفاتِ المتقدّمة هُمُ الذّينَ يبادرونَ في الطَّاعاتِ ، كي ينالوا بذلكَ أعلى الدّرجاتِ والغُرفاتِ...

وفتحَ (صهيبٌ) بابَ البيتِ ودخلَ ، فلمَّا رأى أخاهُ وأختَهُ ألقى عليهما السَّلامَ وقالَ:

مالي أَراكُما واقِفينَ هنا قُربَ المكتبةِ؟!

فحدّثَتْهُ (روضة) عمَّا جرى معها ، ومع (جميل) ، فابتسمَ (صهيبٌ) وقالَ: يا سبحانَ الله! لقد حضرْتُ درساً في المسجدِ الكبيرِ ، وكانَ محورُه حديثَ رسولِ اللهِ ﷺ لابنِ عمرَ: «كُنْ في الدُّنيا كأنَّكَ غريبٌ ، أو عابرُ سبيلٍ ، وعُدَّ نفسَكَ من أهلِ القبورِ».

وشرحَ الشّيخُ الحديثَ النَّبويَّ بقولِه: أيْ كُنْ كشخصٍ اغتربَ لحاجةٍ ، فإذا قَضاها سارعَ

بالعودةِ إلى وطنِهِ ، أو كُنْ في الدُّنيا كالمَارِّ في الطّريقِ ، لا يتلبَّثُ ولا يتوقَّفُ ، واعددْ نفسَكَ ضمنَ الذّينَ ماتُوا ورحلُوا.

ثمَّ قالَ الشَّيخُ في نهايةِ الحديثِ: فَيَا أيُّها الأحبابُ! سارِعُوا بالأعمالِ الصَّالحةِ ، فالمستقبلُ مجهولٌ:

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ﴾.

ولذلكَ عندما فهمَ ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما مقصدَ الرّسولِ صلواتُ اللهِ عليهِ.. راحَ يردِّدُ كلماتِ الوعظِ: إذا أمسيْتَ فلا تنتظرِ الصَّباحَ ، وإذا أصبحْتَ فلا تنتظرِ المساءَ ، وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لمرضِكَ ، ومِنْ حياتِكَ لموتِكَ.

﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾

واستيقظَتْ (أمُّ الخيرِ) مِنْ رقادِها.. وبعدَ أنْ غسلَتْ وجهَهَا.. جاءتْ إلى حيثُ يجتمعُ الأولادُ ، فسألَتْهُم: ما سببُ اجتماعِكُم هذا؟

فأطْلَعُوها على الحديثِ الّذي دارَ بينَهم...

فجلسَتْ.. ودَعَتْهم إلى الجلوسِ ، ثُمَّ قالَتْ:

لقد حَفِظْتُ من والدي رحمَهُ اللهُ حديثاً نبويّاً يحضُّ على المسارعةِ والتَّسابقِ في عملِ الخيرِ ، وهو قولُ رسولِ اللهِ ﷺ:

«بادِرُوا بالأعمالِ فِتناً كقطعِ اللّيلِ المُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجلُ مؤمناً ويُمْسِي كافراً، ويُمْسِي مؤمناً ويصبحُ كافراً ، يبيعُ دينَهُ بعَرضٍ من الدُّنيا قليلٍ».

ومِصْداقُ ذلك قولُه تعالى:

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

ورحمَ اللهُ أحدَ العارفينَ عندما وجَّهَ النَّاسَ إلى المسابقةِ في أعمالِ الخيرِ، وذلكَ بقولِهِ: كُنْ شمساً، فإنْ لم تستطِعْ فكُنْ قَمَراً، فإنْ لمْ تستطعْ فكُنْ كوكباً مضيئاً، فإنْ لم تستطعْ فكُنْ كوكباً صغيراً، ومِنْ جهةِ النّورِ لا تنقطعْ!!

ولعلَّ هذا هو السَّببُ الّذي جعلَ المصطفى صلواتُ اللهِ عليهِ يذكرُ بعضَ النَّماذجِ من عملِ الخيرِ، ويؤكّدُ على نتائِجها الحسنةِ، سواءً كانَ ذلكَ في الدُّنيا، أو بَعْدَ الموتِ، حيثُ إنَّ النّاسَ يستَفيدونَ من عملِ الخيرِ حتّى لو ماتَ

فاعلُهُ ، لذلكَ يكتبُ اللهُ لهُ به أجراً.

فمَنْ عَلَّمَ عِلْماً: سواءً عن طريقِ نشرِهِ في كتابٍ ، أو تعليمِهِ للنَّاسِ مشافهةً ، أو تخزينِه على ديسكاتِ كومبيوتر ، كلُّ مَنْ فعلَ ذلكَ لهُ أجرٌ ما انتفعَ إنسانٌ بهذا العلمِ.

وكذلكَ مَنْ حفرَ نهراً ليشربَ منهُ النَّاسُ ، أو حفرَ بئراً لذلكَ أيضاً ، أو غرسَ نَخْلاً وما إلى هُنالكَ من الأشجارِ ، ليأكُلَ منها الطَّيرُ أو الحيوانُ أو الإنسانُ ، كلُّ من فعلَ ذلكَ له أجرٌ ما انتفعَ إنسانٌ أو أيُّ كائنٍ آخرَ.

ومَنْ بنَى مسجداً ووضعَ فيه مُصحَفاً أو ورَّثَهُ لأولادِهِ. ويدخلُ في ذلكَ توريثُ كلِّ ما يفيدُ. أو ربّى على الصَّلاحِ.. فكانتْ سيرتهُ كذلكَ حتّى بعدَ موتِ والدِهِ.. كتبَ اللهُ لَهُ به

أجراً في الدُّنيا ، وبعدَ موتِه يُجْرِي اللهُ لَه أجراً عظيماً.

أحسنُ القولِ والعملِ!!

والتحقَ (أبو الخيرِ) بالرَّكبِ.. فحدَّثُوه بشكلٍ مختصرٍ عمَّا جَرى معهم ، فقالَ: ولذلكَ أرادَ اللهُ تعالى أن تكونَ في الأمّةِ فئةٌ مهمَّتُها الرَّئيسيةُ: الدّعوةُ إلى الخيرِ.. لأنَّ الدعوةَ إلى الخيرِ دعوةٌ إلى اللهِ ، ودعوةٌ إلى سبيلِهِ ، مصداقُ ذلكَ قولُه تَعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٤].

ومسألةُ الدَّعوةِ إلى الخيرِ هِيَ من أفضلِ الأعمالِ وأَحْسَنِها ، قال اللهُ تَعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وبالتالي ، فالدَّعوةُ إلى الخيرِ هِيَ من مَهامِّ المُصطفينَ الأخيارِ ، مثالُ ذلكَ قولُه تعالى وهو يحكي قصَّةَ نوحٍ عليهِ السَّلامَ مع القومِ المستكبرينَ:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾

[نوح: ٥ ـ ٩].

وفي خطابٍ بيِّنٍ واضحٍ للرَّسولِ الخاتمِ صلواتُ اللهِ عليهِ ، ليقرِّرَ البيانَ الإلهيَّ أنَّ مِنْ أهمِّ وظائفِ الرَّسولِ ﷺ الدّعوةَ إلى الخيرِ ، قالَ تعالى:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

[يوسف: ١٠٨].

وهكذا ، «فالدَّالُّ على خيرٍ له مثلُ أجرِ فاعِلهِ».

«وطوبى لرجلٍ جعلَهُ اللهُ مِفتاحاً للخيرِ ، مِغْلاقاً للشَّرِّ ، وويلٌ لعبدٍ جعلَهُ اللهُ مِفتاحاً للشَّرِّ مِغْلاقاً للخيرِ».

«ومَنْ دَعا إلى هُدى كانَ لَهُ من الأجرِ مثلُ أجورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لايَنقُصُ ذلكَ من أُجورِهم شيئاً».

وما أجملَ أنْ يتحلَّى المسلمُ بالمبادرةِ والإسراعِ إلى عملِ الخيرِ ، أو أن يكونَ مرشِداً إلى أبوابِ الخيرِ، وما أكثرَ أبوابَ الخيرِ ، وما أفضلَ نتائجَ عملِ الخيرِ، في الدُّنيا والآخِرةِ.

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾

وأرادَتْ (روضةُ) أن تختمَ الحديثَ ، وذلكَ بسببِ اقترابِ موعدِ العشاءِ ، فقالَتْ: وما دامَتْ أبوابُ الخيرِ مفتَّحةً ، وما دامَتْ مجالاتُ الخيرِ كثيرةً ، وما دُمْنا قد عَرفْنا بعضَ النَّماذجِ لذلكَ ، فما أحرانا أنْ نتسابقَ في عملِ الخيرِ ، وكلُّ إنسانٍ حسبَ استطاعَتِهِ ، وفي مجالاتِ عملِهِ.

فالمتعلِّمُ يستطيعُ أنْ يقدِّمَ للنَّاسِ الخيرَ ؛ وذلكَ مِنْ خلالِ ما أعطاهُ اللهُ مِنْ عِلمٍ.

والغنيُّ يستطيعُ مساعدةَ الآخرينَ ، وذلكَ مِنْ خلالِ الإنفاقِ والمساعداتِ ، ولو قرأْنا سيرةَ الرَّعيلِ الأوّلِ ، وكيفَ كانُوا يتنافسُونَ في أعمالِ الخيرِ: في الإنفاقِ.. ، وفي

قيامِ اللَّيلِ.. ، وفي تقديمِ المساعدةِ للآخرينَ.. ، وفي تعليمِ النَّاسِ.. ، وفي الدِّفاعِ عن الأوطانِ ، وفي.. وفي.. ، لوجدنا شيئاً عَجباً.

نسألُ اللهَ أنْ يجعلَنا منِ السَّبَّاقينَ دائماً إلى عملِ الخيرِ ، لأنفسنا ولأولادِنا ولأهْلينا ولكلِّ النّاسِ:

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦].

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ